قطعا فان هؤلاء قد شهد لهم بالكفر واوجب لهم النار ولا يثنى عليهم
بهذا الثناء وليس المراد به من امن من اهل الكتاب ودخل في جملة المؤمنين
ويأمن قومه • فان هؤلاء لا يطلق عليهم انهم من اهل الكتاب بالاعتبار
ما كانوا عليه وذلك الاعتبار قد زال بالاسلام واستحقوا اسم المسلمين
والمؤمنين • وانما يطلق الله سبحانه هذا الاسم على من هو باق على دين
في العمران اهل الكتاب هذا المعروف لقوله تعالى • يا اهل الكتاب لم تكفرون •
يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم • يا اهل الكتاب لم
تحاجون في ابراهيم • وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم
ونظائره ولهذا قال جابر ابن عبد الله وعبد الله ابن عباس وانس
ابن مالك والحسن وقتادة ان قوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن
يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله نزلت في النجاشي
وذكر ابن جرير في تفسيره من حديث ابي بكر الهذلي عن قتادة عن
ابن السيب عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا فصلوا
على اخ لكم فصلى بنا فكبر اربع تكبيرات فقال النجاشي اصحمة
فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم ير قط
فانزل الله تبارك وتعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما
انزل اليكم الآية • والمقصود ان الاقسام الاربعة قد ذكرها
الله في كتابه وبين احكامها في الدنيا واحكامها في الآخرة وقد تبين
ان احد الاقسام من آمن ظاهرا وكفر باطنا وانهم نوعان رؤساءهم
وسادتهم واتباعهم ومقلدوهم • وعلى هذا فاصحاب المثل الاول
النارية شر من اصحاب المثل الثاني المائي كما يدل السياق عليه

وقد يقال وهو اولى ان المثلين لسائر الانواع وانهم قد جمعوا بين مقتضى
المثل الاول من الانكار بعد الاقرار والحصول في الظلمات بعد النور
وبين مقتضى المثل الثاني من ضعف البصيرة في القرآن وسد الاذان عند
سماعه والاعراض عنه فان المنافقين فيهم هذا وهذا
وقد يكون الغالب على فريق منهم المثل الاول وعلى فريق المثل
الثاني فصل وقد اشتملت هذه المثلين على حكم عظيمة
منها ان المستضيئ بالنار مستضيئ بنور من جهة غيره لا من قبل نفسه
فاذا ذهبت تلك النار التي في ظله • وهكذا المنافق لما اقر بلسانه
من غير اعتقاد ومحبة بقلبه وتصديق جازم وكان ما معه من النور
كالمستعار • ومنها ان ضياء النار يحتاج في دوامه الى مادة تحمله
وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء الحيوان • وكذلك نور الايمان يحتاج
الى مادة من العلم النافع والعمل الصالح يقوم به ويديم بدوامها
فاذا انقطعت مادة الايمان طفي كما كان يطفى النار بفراغ مادتها
ومنها ان الظلمة نوعان ظلمة ممزوجة لم يتقدمها نور وظلمة حادثة
بعد النور وهي اشد الظلمتين واشقهما على من كانت حظه • فظلمة
المنافق ظلمة بعد ضياء فمثلت حاله بحال المستوقد النار الذي حصل
في الظلمة بعد الضوء • واما الكافر فهو في الظلمات لم يخرج منها قط
ومنها ان في هذا المثل ايذانا وتنبيها على حالهم في الآخرة
وانهم يعطون نورا ظاهرا كما كان نورهم في الدنيا ظاهرا ثم يطفأ
ذلك النور احوج ما كانوا اليه اذ لم يكن له مادة باقية تحمله ويبقى
الظلمة على الجسر لا يستطيعون العبور فانه لا يمكن احدا عبور الا بنور

Copyright © King Saud University
Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)